الدراسة والتحليل لـ"آية المُلك" من منظور البلاغة

د. علي صياداني: جامعة الشهيد مدني بأذربيجان (إيران) د. علي نظرى: جامعة لرستان (إيران)
جنت تفتحي: جامعة لرستان (إيران)

Studying and analyzing "āyatu-al-mulk" from the perspective of rhetoric

Dr.Ali Sayadani: Azarbaijan Shahid Madani University.
Dr.Ail nazary: University of Lorestan.
Jannat taftahi: Ph.D. Student at the University of Lorestan.
marefatmarefat089@gmail.com

Abstract

Holy Quran and its miracle have kept Arabic literature alive and immortal from age ignorance until today. If not the holy Quran, Arabic literature, especially Science of rhetoric was not reserved. Successful attempts has appeared in the field of this science from the third century until the sixth century. Eloquents wrote a lot of works about this science. They used rhetorical evidences in their books; Evidences which is one of the most commonly used evidences so far. Such evidences can be cited are Quranic verses that had a grate impact in the process of teaching rhetoric and its criticism. Among the Quranic evidences is āyatu-al-mulk of Surah Al-Imran (verses 26-27). Eloquents Wrote rhetorical points of that and used them in their books under sections Al maany and Al bayan and Al Budaiya. The evidences are repeated from the sixth century to the present day. The Repeats show us the exact knowledge of eloquents in the rhetoric and their good choice of rhetorical evidences in those periods by them. The Evidences with rhetorical points reveal literary and moral values of the holy Qur'an and open a door of miracle doors of this great and wise book to the reader.

Keywords: the holy Qur'an, āyatu-al-mulk, Surah Al-Imran, rhetoric.

الملخص

القرآن الكريم وما به من الإعجاز قد جعل الأدب العربي حياً خالداً من العصر الجاهلي حتّى اليوم. ولولا القرآن لما يحفظ الأدب العربي خاصّةً علم البلاغة. قد ظهرت في مجال هذا العلم محاولاتٌ ناجحةٌ من القرن الثّالث حتّى القرن السّادس. الّف البلاغيون أعمالاً ادبيةً كثيرةً حوله واستخدموا شواهد أمثالٍ بلاغيّةً فيها، الشّواهد الّتي تعدّ من الشّواهد الأكثر استخداماً حتّى الآن. يمكن أن يُشار من هذه الشواهد إلى الآيات القرآنيّة الّتي كانت لها تأثيرٌ بالغٌ في مسيرة تعليم البلاغة ونقدها. ومن هذه الشّواهد القرآنية، آية الملك من سورة آل عمران (الآيتين 27–26). قد كتب البلاغيّون نكاتها البلاغية واستخدموها في كتبهم تحت أقسام المعاني والبيان والبديع وظلّت تتردّد مكرّرةً بعد القرن السادس حتّى اليوم. وهذه التّكرارات يبيّن لنا قدرةَ معرفة البلاغيّين الدّقيقة بالبلاغة واختيارهم الجيّد للشّواهد البلاغيّة في تلك العصور. الشّواهد الّتي مع نكاتها البلاغيّة تبيّن قيمة الآيات الادبية والمعنويّة وتكشف باباً من أبواب إعجاز هذا الكتاب العظيم والحكيم للقاريء.

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، آية المُلك، سورة آل عمران، البلاغة.

المقدمة

علم البلاغة هو علمٌ ذات جذورٍ في فطرة الإنسان وليس مقيداً بعصرٍ أو زمانٍ خاصٍ. قد بقى هذا العلم بكلّ نقاط ضعفه وقوّته بعد القرون حياً خالداً وهذه الحيوية مدينٌ بالقرآن الكريم قبل كلّ شيءٍ. الكتاب الّذي قد عجزوا عن معارضته أصقاع بلغاء العرب بالرّغم مما اشتهروا من الفصاحة والبلاغة. وأوّل ما يواجهه القاريء في علم البلاغة هو الكلام عن الفصاحة والبلاغة وعن شروط الكلمة الفصيحة والكلام الفصيح. بدأت الكتابة في مجال علم البلاغة من القرن الثالث فاتّسع نطاقها إتّساعاً كبيراً على مرّ الدهور وتقبّلها المجتمع بقبولٍ حسنٍ. واستخدم البلاغيون شواهد الأمثال البلاغيّة في كتبهم

ووضّحوها. قدكانت من جملة هذه الشّواهد، إضافة على الأبيات والأحاديث والأقاويل، آيات القرآن الكريم. ومن هذه الآيات آية المُلك من سورة آل عمران (26–27). الآيتان اللّتان هما اسم الله الأعظم ومن فضلهما العظيم أن نُزِلتا مع سورة "فاتحة الكتاب".

فبعثتنا بلاغة الآيتين وارتباطهما الوثيق وفضلهما لنبحث عن النّكات البلاغية بشأنهما.

هذا البحث يريد:

1. أن يكتب عن شأن نزول وفضل الآيتين ووجوه تمايزهما من الآيات الأخرى المماثلة بهما.
2. أن يكتب عن أوّل كاتبٍ استخدم الآيتين في كتابه لنكتةٍ بلاغيةٍ.
3. أن يستخرج النّكات البلاغية المذكورة بشأن الآيتين في الكتب البلاغية.
4. أن يشير إلى النّكات البلاغيّة الأخرى الّتي لم تُذكر في الكتب البلاغيّة.

هناك بحوثٌ ودراساتٌ متعددةٌ حول الموضوعات البلاغية في القرآن الكريم. لكن ما شاهد الكاتب بحثاً مستقلاً ووافياً حول بلاغة هاتين الآيتين حسب معلوماته ولايدّعي أنه قد استقصى الكتب البلاغية كلّها بل كفاه بحثاً الكتب الهامة والشّهيرة. في هذا البحث يعتمد الكاتب على المنهج الوصفي التّحليلي، اعتماداً في ذلك على مطالعة الكتب البلاغيّة من القرون الاولى حتّى المعاصرة ليدرس آية الملك ويستخرج نكاتها البلاغيّة. واضحٌ بأنّ البحث عن فضل آيات القرآن الكريمة وعن محسّناتها وعن الجهود المبذولة في طريق الكشف عن إعجازها سيضيء للقارئ ظلام طريقه وسيكشف له قيمة القرآن الأدبية والمعنوية حتّى يجعله قدوةً في مسيرة حياته الدّنيوية والأخروية إن شاء الله.

نظرةٌ إلى آية المُلك من سوره آل عمران (26–27)

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىّ وتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِحِسَابٍ[1]﴾

يختصّ لكلّ سورةٍ في القرآن الكريم اسم خاصّ، مثل سورة البقرة، آل عمران، النّساء و...، لكن تُذكر الآيات بأرقامها غالباً وليس للآيات اسم خاصٌّ سوى عدد منها لوجود سمة مميزة فيها، نحو آية النّور، والكرسي، والتّحريم والشّهادة ... وآية المُلك من سورة آل عمران. تبدأ هذه الآية ب" قُلِ اللَّهُمَّ" وتُختَم" ب"إِنَّكَ عَلَىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ". وتليها (الآية 27) أي " تُولِجُ الَّيْلَ" إلى "من تَشَاءُ بِغَيْرِحِسَابٍ".[2]

يخاطب رسول الاكرم (صلي الله عليه وآله وسلّم) ربّه عدّة مرّات في القرآن الكريم ويتمايز الخطاب في هاتين الآيتين مع الخطابات الأخرى: اولاً: بأنّه في مقام الخطاب ولا يوجد فيه إلّا ضمير أنت ولا مكان لأنا ولإظهاره وثانياً: هاتان الآيتان يشكّلان أطول الخطاب إلى الله تعالى. الخطاب الّذي علّم الله نبيّه لأن يجيب استهزاء اليهود والمنافقين بأفضل إجابةٍ.

قد نُزلت الآيتان معاً واكثر فضائلهما واحدٌ وهذا مبيّن ومعبّر عن الانسجام والارتباط الوثيق بينهما ويثبت هذا الانسجام، سياق الآيتين وفواصل الآي وارتباطهما المتناسق من حيث اللفظ والمعنى[3] والنكات البلاغيّة والقواعد الصّرفية والنّحويّة فيهما. ويفسّرهما اكثر المفسّرين في تفاسيرهم معاً. وقد جعل الغزّالى هاتين الآيتين فيكتابه احياء العلوم في تقسيم لباب القرآن إلى

1 - آل عمران/26-27

2- قد اشير إلى آية المُلك في كتبٍ كثيرةٍ منها: شيخ عبّاس قمي، كليات مفاتيح الجنان: ص1002؛ ابراهيم كفعمى، البلد الأمين والدرع الحصين، ص 199؛ محمد بن حسين شيخ بهائي، مفتاح الفلاح، ص 74-75، فضل بن حسن الطبرسي، مجمع البيان، ج2، ص 724-725).

3- انظر: سيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان فى تفسير القرآن، ج3، ص 136؛ ملا حويش آل غازي، بيان المعاني، ج5، ص 330؛ سيد محمود طالقاني، پرتوى از قرآن، ج5، ص 73؛ سلطان محمد گنابادي، تفسير بيان السعادة، ج1، ص 255-256؛ حسن مصطفوي، تفسير روشن، ج4، ص 143.

نمط الجواهر ونمط الدرر، تحت نمط الجواهر[1]. وفي الآيتين تقرير لحقيقة كونية إلهية تدخل في صلب النظام الكوني للأشياء، بأن اللّه قد خلق الحياة في مظاهرها سواء في ذلك الظواهر الكونية، كما في الّيل والنهار، أو الحياة والموت، أو الظواهر الإنسانية الاجتماعية، كالملك والعزّ والذلّ، أو الظواهر الحياتية في حركة الحياة، كالرزق، وجعلها خاضعة لسنّة التغيير من خلال الأسباب الطبيعية التي زوّد بها الكون[2]. أمّا في مجال تشابه الآيتين بالآيات الأخرى، يُشار إلى سبع آياتٍ تشابه الآية (27) وتلك الآيات عبارةٌ عن:

1. ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحْبّ والنَّوَى يخُرِجُ الحْىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ومخُرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىّ ذَالِكُمُ اللَّهُ فَأَنىَ تُؤْفَكُونَ[3]﴾
2. ﴿يخُرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويخُرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىّ ويحُىِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وكَذَالِكَ تخُرَجُونَ[4]﴾
3. ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والْأَبْصَارَ ومَن يخُرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويخُرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىّ ومَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَ فَلَا تَتَّقُونَ[5]﴾
4. ﴿ذَالِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فىِ النَّهَارِ ويُولِجُ النَّهَارَ فىِ الَّيوْلِ وأَنَّ اللَّهَ سَمِيعُ بَصِيرٌ[6]﴾
5. ﴿أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فىِ النَّهَارِ ويُولِجُ النَّهَارَ فىِ الَّيْلِ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كلُ يجَرِى إِلىَ أَجَلٍ مُّسَمًّى وأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[7]﴾
6. ﴿يُولِجُ الَّيْلَ فىِ النَّهَارِ ويُولِجُ النَّهَارَ فىِ الَّيْلِ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ يجَرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ والَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ[8]﴾
7. ﴿يُولِجُ الَّيْلَ فىِ النهَّارِ ويُولِجُ النهَّارَ فىِ الَّيْلِ وهُوَ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ[9]﴾

وتتمايز الآية المذكورة من هذه الآيات، لأنّها فيمقام الخطاب.

شأن النّزول وفضل الآيتين

«لمّا فتح رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مكّة ووعد امّته ملك فارس والرّوم، قال المنافقون واليهود: هيهات من أين لمحمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ملك فارس والرّوم؟ ألم يكفه المدينة ومكّة حتّى طمع في الرّوم والفارس؟ ونزلت هذه الآية[10]» وقد جاء في تفسير البحر المحيط: «ظهرت صخرة في الخندق فضربها (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فبرق برق فكبّر وكذا في الثّانية، والثالثة فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الأولى قصور العجم وفي الثانية قصور الرّوم وفي الثالثة قصور اليمن، فأخبرني جبرئيل عليه السّلام أنّ امّتي ظاهرة على الكلّ فعيره المنافقون بأنّه يضرب المعول ويحفر الخندق فرقاً ويتمنّي ملك فارس والرّوم فنزلت.[11]» بواسطة نزول الآيتين يمكن أن يُتنبّه بقليل من التأمّل بأن كان وسوف يكون استهزاءات وتمسخرات المنافقين واليهود عبثاً وسخيفاً وغير مجدية على مرّ التاريخ لأنّ الآيتين تشملان وعود الله تعالى إلى نبيه الكريم وامّته.

1- القصد من سلك الجواهر هو اقتباس انوار المعرفة. أبي حامد الغزّالي، جواهر القرآن، ص 89-86.
2- سيد محمّد حسين فضل الله، تفسير من وحى القرآن، ج5، ص 295.
3 - الأنعام/95
4 - الروم/19
5 - يونس/31
6 - الحج/61
7 - لقمان/29
8 - فاطر/13
9- الحديد/6
10 - فضل بن حسن الطبرسي، مجمع البيان، ج2، ص 726؛ القرطبي، 2006م: ج4، ص 52.
11 - ابن حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ص 436.

وبالنّسبة إلى فضائلهما، يكفي هاتين الآيتين فضلاً بأنّهما اسم الله الأعظم[1]، وقد جاء في كتاب اطيب البيان في تفسير القرآن «وعزّتى وجلالى لا يتلوكنّ أحد من آل محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وشيعتهم فى دبر ما افترضت عليه الّا نظرت بعينى المكنونة فى كل يوم سبعين نظرة اقضى له فى كلّ نظرة سبعين حاجة وقبلته على ما فيه من المعاصى وهى امّ الكتاب وشهد اللّه وآية الكرسى وآية الملك.[2]» و«لمّا أراد الله تعالى أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهمّ مالك الملك إلى قوله بغير حساب تعلّقن بالعرش وليس بينهنّ وبين الله حجاب وقلن يا ربّ تهبط بنا دار الذّنوب وإلى من يعصيك؟ فقال الله تعالى وعزّتي وجلالي لا يقرأكنّ عبد عقب كلّ صلاة مكتوبة إلّا أسكنته حضيرة القدس على ما كان منه، وإلّا نظرت إليه بعيني المكنونة في كلّ يومٍ سبعين نظرة وإلّا قضيت له في كلّ يومٍ سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلّا أعذته من كلّ عدوٍّ ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنّة إلّا أن يموت.[3]» وقال معاذ بن جبل: أحتبست عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يوما لم أصلّ معه الجمعة. فقال: يا معاذ ما منعك من صلاة الجمعة؟ قلت: يا رسول اللّه كان ليوحنا اليهودي على أوقية [من تبر]، وكان على بابي يرصدني، فأشفقت أن يحبسني دونك. فقال: «أ تحبّ يا معاذ أن يقضي اللّه دينك؟» قلت: نعم يا رسول اللّه. قال: قل اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ... إلى قوله: بِغَيْرِ حِسابٍ، وقل: «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها تعطي منها ما تشاء وتمنع منها ما تشاء، أقض عني ديني. فإن كان عليك ملئ الأرض ذهبا قضاه اللّه عنك.[4]» قد ذُكِرت للآيتين، الفضائل الاخرى الّتي يُغمض العين عنها للاختصار.

الاستعمال البلاغيّ للآيتين للمرّة الأولى في التاريخ

أوّل من استخدم الآية (26) لنكتة بلاغية هو ابن الخشّاب. (متوفّي 567هـ). أبو محمد عبد الله بن أحمد شهرته ابن الخَشّاب أعلم معاصريه بالعربية من أهل بغداد مولداً ووفاةً... وقف كتبه على أهل العلم قبيل وفاته. من تصانيفه "شرح مقدّمة الوزير ابن هبيرة في النّحو" أربع مجلدات و"المرتجل في شرح الجمل للزّجاجي–خ" و"الرّدّ عي التّبريزي في تهذيب الإصلاح" و"نقد المقامات الحريرية"[5]. ياتي الزركشي بقول ابن الخشّاب حول هذه الآية في كتابه "البرهان في علوم القرآن". والإمام الفخر الرّزي (متوفّي 606هـ) أوّل من تحدّث عن الآيتين معاً،كما سياتي.

النّكات البلاغية للآيتين[6]

قد استخدم البلاغيّون شواهد الأمثال البلاغيّة في كتبهم من القرن الثّالث. يبيّن هنا النّكات البلاغيّة للآيتين المذكورتين في ثلاثة أقسامٍ أي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع.

أ) النّكات البلاغية في باب علم المعاني

1. الخروج عن مقتضي الظاهر: قد أشار ابن الخشّاب بأوّل نكتةٍ بلاغيةٍ حول الآيتين أي الخروج عن مقتضى الظاهر. «أنّ الاصل في الاسماء أن تكون ظاهرةً والاصل أنّه إذا ذكِر ثانيا أن يذكر مضمراً للإستغناء عنه بالظاهر السّابق. وأحد أسباب الخروج عن مقتضى الظاهر هو إزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد. كقوله تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ) لو قال "تؤتيه" لأوهم أنّه الأوّل[7].» فذِكر الملك الثّاني وإظهاره لازمٌ حتّى لا يوهم المخاطب بأنّ هذا الضمير يرجع إلى الملك الأوّل بل يختلف عنها في المعنى والمفهوم. «فانظر إلى اختلاف المعنى فيما إذا وضعت ضمير الغائب في محلّ لفظ الملك لأنّك حينئذٍ ستفهم أنّ ملكاً واحداً كان نهباً بين سعيد ممنوح وشقي محروم وانّه عاد في

1 - جلال الدّين السيوطي، الدر المنثور فى تفسير المأثور، ج2، ص 14.
2 - سيد عبد الحسين طيب، اطيب البيان في تفسير القرآن، ص 157.
3 - فضل بن حسن الطبرسي، مجمع البيان، ج2، ص 724-725؛ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ج2، ص 25؛ القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص 52؛ شيخ عبّاس قمي، كليات مفاتيح الجنان، ص 1002.
4 - ثعلبي نيشابوري، ابو اسحاق احمد بن ابراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج3، ص 40.
5 - خير الدّين الزركلي، الأعلام، ج4، ص 67.
6 - نوكّد أنّنا قد ذكرنا واستفدنا من النّكات البلاغية التي ذُكِرت حول الآيات المشابهة المذكورة في الكتب البلاغيّة.
7- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 482-488؛ جلال الدّين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 723.

النّهاية إلى ربّ القادر، وهذا غير المعنى المراد[1].» ورأي آخر بالنّسبة إلى الملك بين المفسّرين بأنّ في مالك الملك قصده ملك العامّ والشّامل والملك الثاني والثالث هما خاصّان وبعضان من كلّ كما أشار المفسّرون الكبار في التفاسير المختلفة[2].

2. الإيجاز: «الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقلّ من عبارات متعارف الأوساط[3].» يُحلَّل الإيجاز في الآيتين هكذا:

الف) (...بِيدك الخَير): أحد أقسام الإيجاز هو الحذف وللحذف أيضاً أقسامٌ ويعتبر الاختزال أحد أنواعه والاختزال أقسامٌ لأنّ المحذوف إمّا كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر ومن أمثلة الاسم هو حذف العاطف مع المعطوف كقوله بيدك الخير أي والشّر[4]. قد اختلفت آراء المفسّرين حول الجملة (بيدك الخير). لماذا ما جاء في الآية (بيدك الخير والشّر)؟ «(بِيَدِكَ الْخَيرُ) أي: بقدرتك وتصديقك وقع الخير... قيل: المعنى والشر، نحو: تقيكم الحر، أي والبرد...وحذف المعطوف جائز لفهم المعنى، إذ أحد الضدين يفهم منه الآخر، وهو تعالى قد ذكر إيتاء الملك ونزعه، والإعزاز والإذلال، وذلك خير للنّاس وشرّ للآخرين، فلذلك كان التقدير: بيدك الخير والشر[5].»

أمّا يعتقد الزّجاج: بأنّ «معنى (بيدك الخير) أي بيدك الخير كلّه، خير الدّنيا والآخرة[6].» «لأنّ الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين، وهو الّذي أنكرته الكفرة، فقال (بِيَدِكَ الْخَيرُ) تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك؛ ولأنّ كل أفعال الله من نافع وضارّ صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كلّه كإيتاء الملك ونزعه[7].» فالبلاغة قاضية هنا بذكر الخير فقط[8].

ب) (...وتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِحِسَابٍ): 1- حُذِف مفعولٌ به لفعل تشاء. لأنّ الله تعالى «يعطي من يشاء **(ما يشاء)** لا يحاسبه على ذلك أحد، إذ ليس فوقه ملك يحاسبه بل هو الملك، يعطي من يشاء بغير حساب[9].» 2- حُذِفَ مفعولٌ به الثاني لفعل ترزق. «ترزق من تشاء **(رزقاً)** غير مقدور ولا محدود، بل تبسطه له وتوسعه عليه كما يقال: فلان ينفق بغيرِ حساب إذا وصف عطاؤه بالكثرة[10].»

ج) (حذف متعلّقات فعل "تَشَاءُ" في الآيتين): يقول الفرّاء: «والعرب تكتفي بما ظهر بعد (شئتَ)، فيقولون خذ ما شئت، وكن في ما شئت. ومعناه فيما شئت أن تكون فيه، فيحذف الفعل بعدها[11].» فجاءت الآيتان متناسبتين مع أقوال العرب ومقتضي الزمان الّذي قد نُزلتا فيه. واستعمال هذا الفعل في الآيتين خمس مرّاتٍ فالاختيار الجيّد لهذا الفعل قد أدّى إلى قصر الجملات والتوسيع في المعنا. لأنّه علاوةً على (مَن تَشَاء)، لنا خمسة الأفعال المحذوفة الأخرى مع متعلّقاتها وهي (في ما شئت أن تكون فيه). قد جاءت هذه الأفعال جنباً إلى جنبٍ دون أن يغمض الجملة أو يبهم ليتنبّه المخاطب بأنّ مشيئة الله مشيئة الحكيم العليم، هو يشاء أن يعزّ النّبي وامّته وهو يشاء أن يذلّ أعداءهم الأجمعين. «وفي ذكر هذه الأفعال العظيمة التي تحير العقول ونسبتها إليه تعالى دلالة على أن من يقدر على ذلك لا يعجزه أن ينزع الملك من العجم ويذلّهم ويؤتيه العرب ويعزّهم بل هو أهون عليه من كل هيّن[12].»

1 - تمام حسان، روائع القرآن، ص 119-121.
2- انظر: محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص 349-350؛ ابن حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ص 436-437.
3 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 139.
4 - انظر: جلال الدّين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 62؛ أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، ج1، ص 72.
5 - انظر: ابن حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج2، ص 438؛ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ج2، ص 24؛ القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص 55؛ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 214.
6 - أبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ص 395.
7 - محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص 350.
8 - محمّد عبده، تفسير القرآن الكريم، ص 272.
9 - الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج8، ص 10-11.
10 - الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج8، ص 10-11.
11 - أبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، معاني القرآن، ص 204.
12 - سيد محمود آلوسى، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 114.

3. الاكتفاء: هو نوعٌ من الإيجاز، في الاكتفاء يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذّاهب[1]. نحو في قوله "بِيَدِكَ الْخَيْرُ" حيث خص الخير بالذّكر– وإن كان الشرّ أيضا– وقد أراد الخير والشرّ، واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر[2]. «وخصّ الخير هنا لأنّ المقام، مقام ترجّي المسلمين الخير من اللّه[3].»

4. الإطناب: هو زيادة اللّفظ على المعنى لفائدةٍ، أو هو تأدية المعنى بعبارةٍ زائدةٍ عن متعارف أوساط البلغاء، لفائدة تقويته وتوكيده. أنواع الإطناب كثيرةٌ، منها التّكرير: وهو ذكر الشيء مرّتين أو أكثر لأغراضٍ[4]. «قد تطول الجمل أحياناً وقد يعطف عليها مثلها أو أمثالها فيكون بين أوّل الكلام وآخره شقّةً بعيدةً لا تعي الذّاكرة معها ما الّذي ينتمي إلى هذا وما ينتمي إلى ذاك وهكذا تتفك أواصر الكلام ويدخل المعنى في غيابات الغموض أو في متاهات اللّبس وكلا الغموض واللّبس آفةٌ من آفات الاتّصال والتفاهم[5].» وفي هذه الظروف، يُحسّ بلزوم وجود علاقاتٍ و«من هذه العلاقات علاقة الرّبط ووظيفتها إنعاش الذّاكرة لاستعادة مذكور بواسطة إحدي الوسائل اللّفظية الّتي تعين على الوصول إلى هذه الغاية. والأصل في الرّبط أن يكون بإعادة اللّفظ لأنّها أدعى للتّذكير وأقوى زماناً للوصول إليه. ويحدث في الكثير من الرّبط في القرآن الكريم أن يكون بإعادة اللّفظ...قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ (آل عمران/26) فالملك الأوّل معطي والثّاني منزوع والثّالث ملكوت الله[6].» وجاء التّكرار هنا للتّأكيد والتّقرير ليثبت فيها قدرة الله ومالكيّته للمنافقين واليهود ويملأ قلب نبيه محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وامّته باليقين.

5. ذكر العام بعد الخاص: تُرى هذه النّكتة البلاغيّة في قسمين من آية المُلك:

أ) (...وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ): هذه الآية تعتبر من باب ذكر العام بعد الخاص، إذ الآيات السابقة قد ذكرت نماذج من الرزق الإلهي، أمّا هنا فالآية تشير إلى جميع النعم على وجه العموم، أي أنّ العزّة والحكم والحياة والموت ليست هي وحدها بيد اللّه، بل بيده كلّ أنواع الرزق والنعم أيضاً[7].»

ب) (...إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ): تعميم بعد تخصيص[8]. أي أنت لستَ قادراً على الإيتاء والنّزع والإعزاز والإذلال فقط بل أنت قادرٌ على كلّ شيءٍ. وهذه كلّها مقدورةٌ وممكنةٌ بحولك وقوّتك.

6. الابتهال: هو من الأغراض الّتي جاءت في القرآن لتعليم المؤمن كيف يتّجه إلى الله، وتخلص نفسه من شوائب هذه الحياة، فيتّجه إليه يحمده ويستعينه، كما في فاتحة الكتاب....ونؤمر بأن نذكر عظمة الله وجلاله وقوّته في اسلوبٍ يجمع إلى قوّة المعنى فخامة الاسلوب ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىّ وتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِحِسَابٍ﴾ (آل عمران/26–27) [9]. كما قيل في قسم فضل الآيتين، طلبت الآيتان من الله تعالى أن تُنزّلا في دار المذنبين والعاصين وهذ الطلب مبيّن قدرة الآيتين للإرشاد وتعليم الانسان والابتهال إلى الله بأفضل طريقٍ.

1 - إنعام فوّال عكّاوي، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، ص 203.
2 - درويش محيي الدين، اعراب القرآن وبيانه، ج1، ص 487.
3 - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 69.
4 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 196-198.
5 - تمام حسان، روائع القرآن، ص 112.
6 - تمام حسان، روائع القرآن، ص 112.
7 - ناصر مكارم شيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص 453
8 - سلطان محمد گنابادي، تفسير بيان السعادة، ج1، ص 256
9 - أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، ص 284.

7. الوصل والفصل: «الوصل عطف جملةٍ على أخرى، والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى[1].» ومن مواضع الفصل كمال الإتّصال والتوسّط بين الكمالين.

أ) كمال الإتّصال: «أن تنزل الجملة الثّانية من الجملة الأولى منزلة التّأكيد اللّفظي من متبوعه في إتّحاد المعنى[2].» وقد جاءت (في الآية 26) الجملة (إِنَّكَ عَلىَ كلُ شىَءٍ قَدِير) تأكيداً لفظياً لجملة (بِيَدِكَ الْخَير) وجمل ما قبلها. ولا يحتاج بإتيان الواو لكمال الإتّصال بينها. «وقوله: (إِنَّكَ عَلىَ كلُ شىَءٍ قَدِير) فهذا كالتأكيد لما تقدّم من كونه مالكا لإيتاء الملك ونزعه والإعزاز والإذلال[3].»

ب) التوسّط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتّصال: وهو «التوسّط بين الكمالين مع قيام المانع وهو كون الجملتين متناسبتين: وبينهما رابطة قويّة لكن يمنع من العطف مانعٌ وهو عدم التشريك في الحكم[4].» قد استخدم القزويني هذه الآية (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) (الروم/9) للتوسّط بين كمالين ويطبّق على هذا القسم من الآيتين: (تخرج الحي من الميت وتخرج الميّت من الحي)[5].

8. براعة الاستهلال: هو الاتيان بعبارةٍ في ابتداء النّصّ. العبارة الّتي تبيّن موضوع ذاك النّصّ. مالِكَ الْمُلْكِ نعت ل«اللّهم» أو يكون المنادى الّذي قد حذف حرف نداءه. فإتيان "مالک" قبل الحكم من باب البراعة[6]. وبعد قوله تعالى (مالك المُلك) ندخل الموضوع ونرى أنواع المُلك من المنزوع والمعطَى والملك الحقيقيّ.

9. التعيّن وعدم الافتقار: يوضّح ابن الأثير في قسم توكيد الضميرين بأنّه لو كان توكيد الضميرين أحدهما بالآخر أبلغ من الاقتصار على أحدهما وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى، وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر، كقوله عز اسمه: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ **إِنَّكَ عَلىَ كلُ شىَءٍ قَدِير**) ولم يقل إنّك أنت على كل شيء قدير. أنه إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخيّر في توكيد أحد الضميرين بالآخر، فإن أكد فقد أتى بفضل بيان، وإن لم يؤكد فلأن ذلك المعنى ثابت لا يفتقر في تقريره إلى زيادة تأكيد. فإنّ العلم بأن الله على كل شيء قدير لا يفتقر إلى تأكيد يقرره[7]. قد وَرَدَ ذكرُ قدرةِ لله تعالى في القرآنِ الكريمِ ثلاث وثلاثين مرّةً في تراكيب نحو (هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدير) و(إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ) و(اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ) و(إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدير). وما جاءت هذه الآيات مع التّأكيد، خاصّةً التّأكيد بضمير الفصل. لأنّ العلم بقدرة الله تعالى واضحٌ ومتعين ولا يحتاج إلى تأكيد يقرّره كما قال ابن الأثير.

10. استعمال الجملة الفعلية: فيالآيتين مجموعةٌ من الأفعال في الجمل المتوالية. «تستخدم الجملة الفعلية في القرآن للدّلالة على التّجدّد والحدوث، والاسمية للثّبوت والاستمرار، والمراد بالتّجدد في الماضي حصوله وفي المضارع تكراره...و تأمّل قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىّ وتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِحِسَابٍ﴾ (آل عمران/26–27) تجد المضارع في الآيتين دالّاً على ما يتجدّد من فعل الله سبحانه في كلّ حينٍ[8].» ويبين هذا التّجدّد والحدوث بأنّ الملك والعزّة والذّلّة كلّ لحظة في حال التّجدّد والتّغيّر وليس ثابتاً كما يرى هذا التّغيير والتّجديد في تعاقب اللّيل والنّهار وفي إخراج الميت من الحي والحي من الميت. ويمثّل الزركشي ايضاً «بقوله تعالى (يخرِجُ الْحَىَّ مِنَ

1 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 170.
2 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 122.
3 - الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج8، ص 9.
4 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 182.
5 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 118-127.
6 - انظر: رضا خاني، ترجمة بيان السعادة، ج3، ص 219.
7 - ابن الأثير، المثل السّائر، ص 19.
8 - أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، ص 87.

الْمَيِّتِ ويخرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ) ويأتي بقول الفخر الرّازي بانّ الاعتناء بشأن اخراج الحي من الميّت لما كان اشدّ أتى بالمضارع ليدلّ على التجدد كما في قوله تعالى الله يستهزئ بهم[1].»

11. التنبية والإرشاد: هاتين الآيتين «تنبيه وإرشادٌ إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله (صلّى الله عليه وآله) وهذه الامّة، لأنّ الله تعالى حوّل النّبوّة من بني اسرائيل إلى النّبي القرشي الأمّي المكّي، خاتم الأنبياء على الإطلاق[2].»

12. الحصر: «أما قوله تعالى: (بِيَدِكَ الْخَيرْ) فاعلم أن المراد من اليد هو القدرة، والمعنى بقدرتك الخير. والألف واللام في الخير يوجبان العموم، فالمعنى بقدرتك تحصل كل البركات والخيرات، وأيضا فقوله: (بِيَدِكَ الْخَيرْ) يفيد الحصر كأنه قال بيدك الخير لا بيد غيرك[3].» ف«العبارة بِيَدِكَ الْخَيْرُ تحصر كلّ الخير بيد اللّه من جهتين: 1- الألف واللام في "الخير" هما للاستغراق. 2- أنّ تقديم الخبر "بيدك" وتأخير المبتدأ "الخير" دليل على الحصر كما هو معلوم. فيكون المعنى: كلّ الخير بيدك وحدك لا بيد غيرك[4].»

13. التّفخيم والتعظيم: «(اللّهمّ) كلمةٌ تنصبها العرب. إنّما نصبت إذ زيدت فيه الميمان لأنّها لا تنادي بياء؛ ولم نجد العرب زادت مثل هذه الميم إلّا مخفّفة؛ مثل الفم وابن م وهم. ونرى أنّها كانت كلمةً ضمّ إليها؛ أُمّ تريد: يا الله أُمّنا بخيرٍ فكثرت في الكلام فاختلطت. فالرّفعة الّتي في الهاء من همزة أُمّ تركت انتقلت إلى ما قبلها.[5]» ونرى بأنّ النّداء في يا الله أُمّنا بخيرٍ صارت مخفّفة أى اللّهمّ وله الميم المشدّد وفي التّشديد تفخيمٌ. وهذا التّفخيم يوجِد «في كلمة "اللّهمّ" فخامةً وروعةً لا يُحسّ في "يا الله"، "يا ربّ" وما يشابهها[6].

14. التّقديم والتّرتيب: في الآيتين بعض التّقديم والتّأخير لأسبابٍ بلاغيةٍ. ويمكن أن يبين التقديم والتّأخير في الآيتين هكذا:

أ) تقديم (تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) على (تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ): قدّم (تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) على (تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ) «وذلك إخراج المؤمن من صلب الكافر، وإخراج الكافر من صلب المؤمن فإنّه تعالى سمّى الإيمان حيوةً ونوراً والكفر موتاً وظلمةً[7].» فغرض هذا التّقديم هو شرف الحياة[8]. الحياة بكلّ نشاطها وبهجتها وطراوتها وقدّم الحياة على الموت ليراعَى حسن التّرتيب بافضل شكلٍ.

ب) تقديم (تُولِجُ الّيل فيِ النَّهَارِ) على الجملة (تُولِجُ النَّهَارَ فيِ الّيْل): قُدِّم الجملة (تُولِجُ الّيل فيِ النَّهَارِ) على (تُولِجُ النَّهَارَ فيِ الّيْل). من أنواع السّبق تقديم الظّلمة على النور «فإنّ الظلمات سابقة على النور في الإحساس وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي قلت المشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقداراً من النهار ومن النهار في الصيف مقداراً من الّيل وتقدير الكلام يولج بعض مقدار الّيل في النهار وبعض مقدار النهار في الّيل وعلى غير المشهور يجعل الّيل في المكان الذي كان فيه النّهار ويجعل النّهار في المكان الذي كان فيه الّيل والتقدير يولج الّيل في مكان النهار ويولج النهار في مكان الّيل[9].»

ج) تقديم الإتيان والعزّة على النّزع والذّلة: قد قُدِّم في (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ) الإتيان والعزّة على النزع والذّلة. هذا التّقديم والتّرتيب لأجل شرف الإتيان -ما يؤتي الله تعالى لعباده- وشرف العزّة.

---

1 - بدر الدّين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص 66-71.
2 - ابن كثير الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم ج2، ص 4.
3 - الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج8، ص 9.
4 - ناصر مكارم شيرازي، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص 447-448.
5 - أبي زكريا يحيي بن زياد الفرّاء، معاني القرآن، ج1، ص 203؛ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 212؛ الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ج8، ص 2؛ القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص 53.
6 - أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، ص 131.
7 - سيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان فى تفسير القرآن، ج3، ص 136.
8 - بدر الدّين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 253.
9 - بدر الدّين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 238-241.

ب) النّكات البلاغية في باب علم البيان

1. التعريض: «لغةً خلاف التّصريح. واصطلاحاً هو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السّياق[1].» هاتان الآيتان «استئناف ابتدائي المقصود منه التعريض بأهل الكتاب بأن إعراضهم إنما هو حسد على زوال النبوة منهم، وانقراض الملك منهم، بتهديدهم وبإقامة الحجة عليهم في أنه لا عجب أن تنتقل النبوة من بني إسرائيل إلى العرب، مع الإيماء إلى أن الشّريعة الإسلامية شريعة مقارنة للسلطان والملك[2].»
2. الرّمز: «لغة أن تشير إلى قريب منك خفيةً، بنحو شفة أو حاجب واصطلاحاً هو الّذي قلّت وسائطه مع خفاء في اللّزوم بلا تعريض[3].» (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) «في هذا رمز إلى ما حدث في العالم من ظلمات الجهالة والإشراك، بعد أن كان الناس على دين صحيح كدين موسى، وإلى ما حدث بظهور الإسلام من إبطال الضلالات، ولذلك ابتدئ بقوله تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، ليكون الانتهاء بقوله: وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ والذي دلّ على هذا الرمز افتتاح الكلام بقوله: اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ إلخ.[4]»
3. المجاز: «هو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التّخاطب لعلاقةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الوضعي[5].» و«كلّ مجازٍ يبنى على التشبية يسمّى استعارة.» واحدى اقسام استعارة، هي استعارة تصريحيّة، أي «إذا ذكر في الكلام لفظ المشبّة به فقط.» وقد جاءت في الآية الثانية في شكلين:

أ) (...تُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ...): تفاسيرٌ مختلفةٌ في كتب التفاسير عن هذا القول. فقد اعتبر كثيرٌ من المفسّرين الميت والحي في الآية بالمعنى الوضعي[6]. بينما رآهما بعض المفسّرين على المجاز دالّين على إخراج المؤمنين (الأحياء) من الكفار (الأموات). فيكون الإيمان حياةً والكفر موتاً على المجاز. فإذا أراد هذا المعنى كان في الآية استعارة تصريحية، وإذا أراد النطفة والبيضة كان الكلام جاريا على جانب الحقيقة، لا على جانب المجاز[7]. ويؤكّد أبو عبيدة في كتابه «مجاز القرآن»، على معنى المجاز في الآية ويقول: «أي يخرج الطّيب من الخبيث والمسلم من الكافر[8].»

ب) (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ): «وحقيقة «تولج» تدخل وهو هنا استعارة لتعاقب ضوء النهار وظلمة الليل، فكأنّ أحدهما يدخل في الآخر، ولازدياد مدة النهار على مدة الليل وعكسه في الأيام والفصول عدا أيام الاعتدال[9].» فجعل بين الليل والنهار نكاحا معنويا لما كانت الأشياء تتولد منهما معاً وأكّد هذا المعنى بقوله عز قائلا: يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ (الأعراف/54، الرعد/3) ولهذا كان كل منهما مولجا ومولجا فيه فكل واحد منهما لصاحبه أصل وبعل فكلما تولد في النهار فأمه النهار وأبوه الليل وكلما تولد في الليل فأمه الليل وأبوه النهار[10].»

ج) النّكات البلاغية في باب علم البديع

1. الطباق أو المطابقة: «هو الجمع بين المتضادّين في الكلام مع مراعاة التّقابل، حتّى لا يضمّ الاسم إلى الفعل...مثل قوله ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كلُ

1 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 299.
2 - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 212.
3 - سيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 299.
4 - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 214.
5 - سيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 253.
6 - جعفر محمد بن جرير الطّبري، تفسير الطبري، ج5، ص 312؛ فضل بن حسن الطبرسي، مجمع البيان، ج2، ص 728.
7 - محمود بن عبد الرّحيم صافي، الجدول فى اعراب القرآن، ج3، ص 148.
8 - أبي عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص 90.
9 - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص 69.
10 - سيد محمود آلوسى، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 113.

شيَءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ وتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِحِسَابٍ﴾ (آل عمران/26-27)[1].» والطباق في الآيتين مشهودٌ في (تؤتي وتنزع، تعزّ وتذلّ، الّيل والنّهار، الحي والميّت).

2. المقابلة: «المقابلة ايراد الكلام في مقابلته بمثله في المعنى واللّفظ على جهة الموافقة أو المخالفة...[2]» يشير العلّامة الطباطبائي إلى تقابلاتٍ جميلةٍ في الآيتين: «قد وضع في كل من الآيتين أربعة أنحاء من التصرف بنحو التقابل فوضع في الأولى إيتاء الملك ونزعه وبحذائهما في الثانية إيلاج الّيل في النهار وعكسه، ووضع الإعزاز والإذلال وبحذائهما إخراج الحي من الميت وعكسه، وفي ذلك من عجيب اللطف ولطيف المناسبة ما لا يخفى فإن إيتاء الملك نوع تسليط لبعض أفراد الناس على الباقين بإعفاء قدر من حريتهم وإطلاقهم الغريزي وإذهابها كتسليط الّيل على النهار بإذهاب الّيل بعض ما كان يظهره النهار، ونزع الملك بالعكس من ذلك، وكذا إعطاء العزة نوع إحياء لمن كان خامد الذكر خفي الأثر لولاها، نظير إخراج الحي من الميت، والإذلال بالعكس من ذلك، وفي العزة حيوة وفي الذلة ممات.» ثم وقعت المقابلة بين ما ذكره في الآية الثانية: وتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ، وما ذكره في الآية الأولى: بِيَدِكَ الْخَيْر[3]. هذه التّقابلات العميقة نفسها نوعٌ من الإعجاز في الكتاب الكريم. التّقابلات الّتي مثل سلسلةٍ تتّصل وترتبط الآيتين معاً وتجعل قيمة القرآن الكريم البلاغيّة والمعنويّة اكثر وضوحاً.

3. العكس: «العكس في اللّغة: ردّ آخر الشيء على أوّله ويقال له التّبديل وفي الإصطلاح: تقديم لفظٍ من الكلام ثمّ تأخيره ويقع على وجوهٍ كثيرةٍ ولكنّ المراد هنا ما استعمل منها وكثر استعماله. فالمقدّم في هذا الباب قوله تعالي: (تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ (آل عمران/27) العكس هنا مميزٌ بعلوّ طباقه وبشرف القدرة الإلهية الّتي لا تصدر إلّا عن عظمة الخالق جلّت قدرته وبلاغة القرآن وإيجاز وفصاحته[4].» «وجمال العكس في أنّه يربط بين أمرين ويعقد بينهما أوثق الصّلات أو أشدّ ألوان النّفور[5].»

4. المبالغة: «المبالغة أن تبلغ أقصي غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عن أدني منازله وأقرب مراتبه[6].» يشير ابن حجة في كتابه بنكتةٍ بلاغيةٍ أخرى مضافاً إلى المطابقة في (الآية 27) ويقول: «الّذي أقوله أنّ المطابقة الّتي يأتي بها النّاظم مجرّدة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضّدّ بالضّدّ وهو شيءٌ سهلٌ اللّهمّ إلّا أن تترشّح بنوعٍ من أنواع البديع يشاركه في البهجة والرّونق كقوله تعالى (تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ وتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِحِسَابٍ) وفي العطف بقوله تعالي: (وترزق) دلالة على أنّ مَن قدر على تلك الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده وهذه مبالغة التّكميل المشحونة بقدرة الرّبّ سبحانه وتعالى. فانظر إلى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الّذي لا يدرك، لوجازته وبلاغته ومبالغة التّكميل الّتي لا تليق بغير قدرته[7].»

5. السجع الداخلي: «يلاحظ أنّ النّص يقوم في مرسل القرآن بعملية تعويض للإيقاع الغائب، فيؤسّس قيمة الإيقاعية من خلال مجموعةٍ من التّلوينات الصّوتية الدّاخلية نرصد منها ما يحدث في متن الآيات من سجع داخليٍ كما في قوله تعالى: (قُلِ

1 - الفخر الرّازي، التفسير الكبير، ص 171؛ أبي يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص 660؛ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 255؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 455؛ ابن حجّة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص 165؛ شهاب الدّين أبي الثناء، حسن التّوسّل، ص 68؛ عبد المتعال الصعيدي، بغيه الايضاح، ج4، ص 5.
2 - إنعام فوّال عكّاوي، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، ص 655.
3 - سيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان فى تفسير القرآن، ج3، ص 136-137.
4 - ابن حجّة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص 351.
5 - أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، ص 144.
6 - أبي هلال العسكري، الصّناعتين، ص 365.
7 - ابن حجّة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص 165.

اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران/26)[1].»

6. التّفويف: «عبارة عن إتيان المتكلم بمعانٍ شتى من المدح أو الغزل، أو غير ذلك من الفنون والأغراض، كل فنٍّ في جملة من الكلام منفصلة من أختها بالتجميع غالباً، مع تساوي الجمل المركبة في الوزنية، ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة. وقد جاء من التفويف المركب في الجمل المتوسطة قوله سبحانه: (تولِجُ الَّيْلَ فىِ النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فىِ الَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيّ)[2].»

7. التوقيف: «التوقيف من الوقف. ووقّف الحديث: بينه، والتوقيف: البياض مع السّواد، ويقال مشتق من الوقف الّذي هو السّوار من العاج. وعرّفه السّبكي في كتابه عروس الأفراح بأنّه «إثبات المتكلّم معاني من المدح والوصف والتّشبية وغيرها من الفنون الّتي يفتتح بها الكلام في جملةٍ منفصلةٍ عن أختها بالسّجع غالباً مع تساوي الجمل في الزّنة أو بالجمل الطّويلة، كقوله تعالي: (يولِجُ الَّيْلَ فىِ النَّهَارِ ويولِجُ النَّهَارَ فىِ الَّيْلِ)[3].»

8. الائتلاف في اللفظ مع المعنى وحسن الجوار بينها في العربية كلّ لفظة لا يصلح لمعنىً غيرها[4]. فروقٌ لغويةٌ كثيرة بين الكلمات ولا يدركها إلّا اللّغويون والبلاغيون. و«أنّ البليغ إذا نظم كلاماً وجب عليه أن يلائم بين ألفاظه، ليأتي كلامه موصوفاً بالائتلاف، بحيث لا تأتي لفظة منافرةً لأخواتها موضوعة في غير موضعها، فإنّ الكلام إذا وقع فيه مثل ذلك عيب بسوء الجوار[5].» يقول الجاحظ: «وقد يستخفّ النّاس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها. ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلّا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظّاهر. والنّاس لا يذكرون السّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسّلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلّا في موضع الإنتقام. والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث[6].» «كلّ الألفاظ في القرآن موضوعةٌ في موقعها المتناسب وهذا الوضع يكون لأسبابٍ بلاغيةٍ لا يعرفها عامّة النّاس ولا يكشفونه إلّا قليلاً[7].» وفي الآيتين المقصودتين ائتلافٌ بين الكلمات في اللّفظ والمعنى:

أ) الاتيان والاعطاء: إن الاتيان اقوى من الاعطاء في اثبات مفعوله لأنّ الاعطاء له مطاوع يقال اعطاني فعطوت ولا يقال في الاتيان اتاني فأتيت وانما يقال اتاني فاخذت والفعل الذي له مطاوع اضعف في اثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له لأنّك تقول قطعته فانقطع فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول المحل لولاه لما ثبت المفعول ولهذا يصحّ قطعته فما انقطع ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك فلا يجوز إن يقال ضربته فانضرب او ما انضرب ولا قتلته فانقتل او ما انقتل لأنّ هذه الافعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل والفاعل مستقل بالافعال التي لا مطاوع لها. فالايتاء اذن اقوى من الاعطاء. قال الله تعالى في الملك تؤتي الملك من تشاء لانّ الملك شئ عظيم لا يعطيه إلّا من له قوة[8].

ب) مالك ومَلِك: «انّ المُلك في المَلك اثبت من المُلك في المالك فإنّ المَلك لايخرج الملك من يده وأمّا المالك فيخرجه بالبيع والهبة[9].»

1 - هدى عطية عبد الغفّار، السجع القرآني دراسة اسلوبية، ص 153.
2 - ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير، ص 262؛ ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ص 99.
3 - إنعام فوّال عكّاوي، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، ص 454.
4 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 335.
5 - ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ص 266-276.
6 - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 20.
7 - شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص 50.
8 - بدر الدّين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص 85-86.
9 - المصدر نفسه.

ج) تولج وتدخل: الإيلاج يصلح أن يكون في كلّ واحدٍ من اللّيل والنّهار كما في ظاهر الآيتين والسرّ في ذلك هو أنّ الإيلاج هو الإدخال. يقال ولج في بيته إذا دخل فيه وهذا المعنى يصلح في كلّ واحد من اللّيل والنّهار، لأنّ اللّيل يدخل في النّهار كما يدخل النّهار في اللّيل[1]. وإذا يؤتَى بفعل آخر كـ(تدخل) عوضاً عن (تولج) وأن يقال (تدخل اللّيل في النّهار وتدخل النّهار في اللّيل) فيزول جمال الجملة وانسجامه مع الجملات قبلها وبعدها. لأنّ كلمة (تولج) ترى لطافة وظرافة إيلاج اللّيل فيالنّهار وإيلاج النّهار في اللّيل، وسلاسة حركتهما اللّطيف الّتي توجد الشفق والفلق. ويحكي الإيلاج لطافة وظرافة هذا الورود اكثر من الإدخال وأيّ كلمةٍ مترادفةٍ معها.

د) تخرج الحي من الميّت: لو جاء مكان (وتخرج الميت من الحي) (ومخرج الميت) لتنافرت الألفاظ، وعيب نظم الكلام لسوء الجوار، لمجيء اسم فاعل بين صيغ الأفعال من قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىَ كلُ شىَءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ الَّيْلَ فىِ النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ فىِ الَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وترْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيرْحِسَابٍ﴾. فصيغة الفعل (تُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ) هنا ملائمٌ لما جاورها من صيغ الأفعال[2].

9. الجناس: تكرار الحروف الأوّل من الكلمات ويمكن أن نسمّيه الجناس الاستهلالي. وتكرار الحرف في أواسط الكلمات وسنطلق عليه اسم جناس الحشو وأخيراً تكرار حرف الأخير من الكلمات وقد التفتّ إليه البلاغيون العرب فأطلقوا عليه اسم السجع مرّة أو التّرصيع أو التّشريع[3] وإن تشابه اللّفظان في كلّ الحروف هو الجناس التّامّ «وهو ما اتّفق فيه اللّفظان في أربعة أشياء، نوع الحروف، عددها وهيئاتها وترتيبها مع اختلاف المعنى. فإن كانا من نوعٍ واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين سمّي مماثلاً ومستوفياً[4].» وأخيراً تكرار الجمل والعبارات، وهو ما لم يشر إليه البلاغيون لكن مع ذلك يشكل ظاهرة تكرارية لا بدّ من الالتفات إليها. وقد وردت في الشّعر القديم والحديث كثيراً واعتمد عليه الشّعراء لتنويع مصادر الإيقاع في نصوصهم وهو نوعان تكرار الجمل وتكرار أبعاض الجمل[5]. يُرى في (الآية الأولى) الجناس الاستهلالي في الحرف الأوّل لكلماتٍ مثل (مالك، ملك، من، ممّن) و(تؤتي، تشاء، تنزع، تذلّ، تعزّ) و(قل وقدير). ويرى في (الآية الثّانية) (تولج، تخرج وترزق) ولنا الجناس الحشو في (مالك وملك) والسجع في (تولج وتخرج). والجناس التامّ مثاله في الاسمين نحو قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ المُلك مِمَّن تَشَاءُ) يقول الفخر الرّازي: «إنّه بعد بيان كون الله (مالك الملك) على الإطلاق فصّل بعدها أنّ قوله تعالى (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ المُلك مِمَّن تَشَاءُ) محمول على جميع أنواع الملك، فيدخل فيه ملك النّبوّة، وملك العلم، والأخلاق الحسنة، وملك النفاذ، والقدرة، وملك المحبّة[6].» فالملك الأوّل يفرق في المعنى ودلالته مع الثّاني والثّالث على الرّغم من التّشابه في اللّفظ. وتكرار الجمل نحو تكرار جملة (تشاء) في (الآية 26) مرّاتٍ وفي أخر (الآية 27) ايضاً وهو معبّر عن اتّصال وارتباط الآيتين بشكلٍ جميلٍ وكأنّ هذا الفعل يريد أن يجمع الآيتين تحت شملٍ واحد أي مشيئة الله تعالى. وتكرّرت جملة (تولج) و(تخرج) مرّتين. وهذه التّكرارات أعطت الآيتين إيقاعاً جميلاً.

10. مراعاة النّظير: «هي الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة، لا على جهة التّضادّ وذلك إمّا بين اثنين، نحو قوله تعالى (وهو السميع البصير) وإمّا بين أكثر[7].» وقد جمع هنا (الملك، مالك، يد، قدير وتشاء، القدرة والمشيئة) في (الآية الأولى).

1 - يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، ج1، ص 146-147.
2 - ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ص 266-276.
3 - طالب محمّد الزّوبعي، البيان والبديع، ص 145-146.
4 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 345.
5 - طالب محمّد الزّوبعي، البيان والبديع، ص 145-146.
6 - وداد طاهر محمد نصر، دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، ص 68 .
7 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 315.

11. لزوم ما لا يلزم: «هو أن يجيء قبل حرف الرّوي أو ما في معناه من الفاصلة بما ليس بملازمٍ في التّقفية ويلتزم في البيتين أو أكثر من النظم أو الفاصلتين أو أكثر من النّثر[1].» نحو (تُؤْتِي الْمُلْكَ **مَن تَشَاءُ** وتَنزِعُ الْمُلْكَ **ممّن تَشَاءُ**...).
12. الإرصاد: «هو أن يذكر قبل الفاصلة من الفقرة أو القافية من البيت ما يدلّ عليها إذا عرف الرّوي[2].» ويُرى في الآيتين هذه المحسّنة البديعية. (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَ... مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ و...بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كلُ شىَءٍ قَدير) فسهلٌ للقاريء أن يملأ الفراغ ويخمّن الرّوي وكلمته. كما واضحٌ في الآية الآتي (تُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهَارَ... وتُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ...) سهولة تخمين الرّوي وكلمته للقارئ.
13. رعاية ونظم فواصل الآي: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ومن هذا النّظم يكون الاتّفاق في الكلمتين الأخيرتين فقط[3]. كقوله (تُؤْتِي الْمُلْكَ **مَن تَشَاءُ** وتَنزِعُ الْمُلْكَ **مِمَّن تَشَاءُ** وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاء)
14. التّقسيم: للتّقسيم أنواعٌ. منها أن تستوفي أقسام الشّيء[4]. قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْك) وبعده يبيّن الله هذه القدرة والمالكيّة ويقسّمها في الجملات الآتية بأنّه (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ...إلى قوله بِغَيْرِ حِسَاب) و(مالك الملك) قصده ملك العامّ والشّامل والملك الثاني والثالث هما خاصّان وبعضان من كلّ وهذا التّقسم من نوع ذكر أحوال الشّيء أي احوال الملك.
15. الطّي والنّشر: أن يذكر متعدد، ثمّ يذكر ما لكلٍّ من أفراده شائعاً من غير التّعيين، اعتماداً على تصرّف السّامع في تمييز ما لكلّ واحدٍ منها وردّه إلى ما هو له. منها أن يكون النّشر على ترتيب الطّي[5]. نحو قوله تعالي (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وتُذِلُّ مَن تَشَاءُ). «يعني جلّ ثناؤه (وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ) بإعطائه الملك والسلطان، وبسط القدرة له، (وَ تُذِلُّ مَن تَشَاءُ) بسلب ملكه وتسليط عدوّه عليه[6].»
16. الانسجام والسّهولة: «وهو سلامة الألفاظ وسهولة المعاني مع جزالتها وتناسبها في الجملات[7].» وهذا الانسجام مشهودٌ في الآيتين كما وضّح محسّناتهما.

نظام الآيتين والتفعيلات الّتي استعملت فيهما

يري الدكتور النويهي في كتابه الشعر الجاهلي أنّ اشتراك الكلمات في حرف واحدٍ من الأوّل أو الوسط قد يكون له قيمة تغنيمية تزيد من ربط الأداء بالمضمون الشّعري. وعلى هذا لا بدّ أن يكون هناك انسجامٌ بين الصّوت المكرّرة وبين المعنى الّذي يراد التعبير عنه...[8]يرى بعض التكرارات في الآيتين بوضوحٍ. أمّا ما الارتباط بين هذه التّكرارات وهذا الإيقاع الجميل والمعنى؟

(الآية 26): قُلِ للا / همّ ما/ لك المل/ ك تؤتي ال/ملك من /تشاء / وتنز/ع الملك/ ممن /تشاء/ تعزّ/من تشاء/ تذلّ/ من تشاء

بيد/ك الخير/ انك/ على كل/ لِ شيءٍ / قدير.

– U– / U–– /– U U/–U–/ U – U /– U–/ U– U/––U/–– /–––/ U– U/––U/–U–/––U/––U/–U–/––U ––U/––U/––U/

1 - المصدر نفسه، ص 353.
2 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 316.
3 - المصدر نفسه، ص 352.
4 - المصدر نفسه، ص 325.
5 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 323.
6 - جعفر محمد بن جرير الطّبري، تفسير الطبري، ج5، ص 304.
7 - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 356.
8 - طالب محمّد الزّوبعي، البيان والبديع، ص 147.

فعولن/فاعلن/فعولن/فعولن/فاعلن/فعولن/فعول/مفعولن/فعلن/فعولن/فعول/فاعلن/فعول/فاعلن/فعلن/مفعول/فاعلن/فعولن/فعولن/فعولن/ف
عولن

وأمّا الآيه (27): تولج ال/ليل في الن /نهار /تولج الن/نهار/ في الّيل /تخرج ال/حي م/ن الميت /تخرج ال/ميت/ من الحي/ ترزق/ من تشا/ء بغي/ر حساب

–UU/– U U/–U–/ UU–/––U/UU–/–U–/–––/ U U–/–U–/U––/ U–U/–U–/––U/–U–/–U–

فاعلن/فاعلن/فعولن/فاعلن/فعول/مفعول/فاعلن/فاعل/مفعولن/فاعلن/فاعل/فعولن/فاعل/فاعن/فعلن/فعلن

هاتان الآيتان تسريان على تفعيلاتٍ أكثرها (فعولن) و(فاعلن). في هاتين التفعلتين صوتٌ ومعنى ملحميٌّ وكما تبيّن كان نزول الآيتين بعد الحرب والهيمنة وبعد أن وعد النّبي (صلّى الله عليه وآله) المسلين بالفتوح العظيمة. ونرى بأنّ المعنى والصّوت كانا وفقاً لمقتضي حال الحرب والنّزاع. وتعطي التّفعيلتان تركيباً ونظماً خاصّاً للآيتين. وواضحٌ بأن ليس لهما وزنٌ وبحرٌ خاصٌّ، أمّا تخلقان مع تفعيلاتهم المماثلة هذه الاصوات والنّغم الموزونة والتّلوينات الصّوتيّة الّتي تعطيهما لوناً ملحمياً وصوتاً حماسياً، يستعين المؤمنين في مواقع الشّدة ويثبّت أقدامهم ويضعف أعداءهم.

خاتمة الكلام

1. قد استعمل البلاغيّون منذ القرن الثالث بعض الآيات القرآنيّة لشواهدهم البلاغيّة وظلّت تتردّد مكرّرةً بعد القرن السادس حتّى اليوم. وهذا يبيّن لنا مدى معرفة البلاغيّين بالبلاغة واختيارهم الجيد للشّواهد البلاغيّة في تلك القرون. من هذه الشّواهد القرآنية "آية المُلك" من سورة آل عمران والّتي هي مملوءةٌ بالنّكات البلاغيّة والصنائع الأدبية.
2. هاتان الآيتان اسم الله الأعظم. وهما أطول خطاب قرآني يبتهل النّبي (صلّي الله عليه وآله) من خلاله إلى الله تعالى ولا يوجد في هذا الخطاب مكانٌ لضمير (أنا) ولإظهاره، وكلّها ضمير (أنت) أي الله تعالي. وليس في القرآن الكريم آيةٌ مشابهةٌ بشكلٍ تامّ بالآيتين.
3. أوّل من استخدم (الآية 26) في كتابه لنكتةٍ بلاغيةٍ هو ابن الخَشَّاب (متوفّي 567هـ) في قسم خروج عن مقتضي الظاهر وهي ترتبط بباب علم المعاني. وقد استخدمهما الفخر الرّازي في كتابه نهاية الإيجاز للمحسّنة البديعية "المطابقة".
4. من الميزات البارزة لهاتين الآيتين المحسّنة البديعيّة "المقابلة" وفيهما تقابلاتٍ:

أ) نري في الآية الأولي إيتاء الملك ونزعه وفي الثّانية إيلاج الّيل في النهار وعكسه.

ب) نري وضع الإعزاز والإذلال وفي المقابل إخراج الحيّ من الميّت وعكسه...

ج) ووقعت المقابلة بين ما ذكره في الآية الثانية: وتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ، وما ذكره في الآية الأولى: بِيَدِكَ الْخَيْر.

هذه التّقابلات العميقة نفسها نوعٌ من الإعجاز في الكتاب الكريم. التّقابلات الّتي تعدّ مثل سّلسلةٍ تصل وتربط الآيتين معاً وتبيّن قيمة القرآن الكريم البلاغيّة أكثر فأكثر.

5. يري القاريء في هذا البحث ارتباطاً وثيقاً بين المعني والنّحو والبلاغة والتّفسير.
6. قد ذكر البلاغيون للآيتين النّكات البلاغيّة الّتي أكثرها في باب علم البديع وأقلّها في باب علم البيان.
7. عدد من النكات البلاغيّة التّي لم تُذكر في الكتب البلاغيّة المدروسة في البحث الحاضر، يمكن أن تُصنَّف مع هذا الوصف:

أ) قسم علم المعاني (حذف متعلّقات فعل تشاء في الآيتين، ذكر العامّ بعد الخاص، كمال الاتّصال والتّوسّط بين حالتي الكمالين، براعة الاستهلال، التعيّن وعدم الافتقار، التنبية والإرشاد).

ب) قسم علم البيان (التعريض، الرّمز، الاستعارة التصريحيّة).

ج) قسم علم البديع (المقابلة، الائتلاف في اللّفظ والمعني (تدخل وتولج)، الجناس، مراعاة النظير، لزوم ما لا يلزم، الإرصاد، رعاية ونظم فواصل الآي، التقسيم، اللّف والنّشر، الانسجام والسّهولة).

قائمة المصادر والمراجع

أ. **الكتب**

1. القرآن الكريم.
2. آلوسي، سيد محمود، **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم**، ط1، تحقيق: على عبدالباري عطية، بيروت: دارالكتب العلميه، (1415ق).
3. ابن أبي الأصبع المصري، **تحرير التحبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن**، (د.ط)، تحقيق: محمد شرف حفني ومحمد توفيق عويضة، (د.م)، (1963م).
4. ابن أبي أصبع المصري، **بديع القرآن**، (د.ط)، تحقيق: محمّد شرف حفني، (د.م): نهضة مصر، (1957م).
5. ابن الأثير، (1999م)، **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، (د.ط)، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، (د.ط)، تونس: الدار التونسية، (1984م).
7. أبي عبيدة، **مجاز القرآن**، (د.ط)، تحقيق محمد فؤواد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي بالقاهرة، (1954م).
8. أحمد بدوي، أحمد، **من بلاغة القرآن الكريم**، (د.ط)، (د.م): نهضة مصر، (2005م).
9. الأندلسي، ابن حيان، **تفسير البحر المحيط**، ط1، تحقيق: أحمد النجولي الجمل والآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، (1993م).
10. البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، **تفسير البغوي**، ط1، تحقيق: محمد عبد الله العزيز والآخرون، (د.م)، (1993م).
11. التفتازاني، **المطوّل**، ط2، (د.م): المكتبة الأزهر للتّراث، (2005م).
12. –، **شرح المختصر**، ط1، قم: منشورات اسماعيليان، (1385ش).
13. ثعلبى نيشابورى، ابو اسحاق احمد بن ابراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (1422ق).
14. الجاحظ، **البيان والتبيين**، (د.ط)، تحقيق: محمد هارون عبد السلام، القاهرة: مكتبة الخانجي، (1375ه).
15. حسان، تمام، **روائع القرآن**، ط1، (د.م): عالم الكتب، (1993م).
16. الحموي، ابن حجّة، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، ط1، تحقيق: الدّكتور صلاح الدّين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية، (2006م).
17. درويش محيى الدين، **اعراب القرآن وبيانه**، ط4، سوريه: دار الإرشاد، (1415ق).
18. الدمشقي، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، (1998م).
19. الرّازي، **نهآية الإيجاز في درآية الإيجاز**، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (2004م).
20. الزجاج، أبي إسحاق إبراهيم بن السّري، **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، تحقيق: عبد الجليل عبده شبلي، (د.م): عالم الكتب، (1988م).
21. الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (د.ط)، القاهرة: مكتبة دار التراث، (1984م).

22. زركلي، خير الدّين، **الأعلام**، ط17، بيروت: دار العلم للملايين، (2007م).
23. الزمخشري، محمود، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، (1407ق).
24. الزوبعي، طالب محمد، **البيان والبديع**، ط1، بيروت: دار النّهضة العربية، (1996م).
25. السّكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، ط1، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، بغداد: مطبعة دار الرّسالة، (1982م).
26. السيوطي، الإمام جلال الدّين، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة: مطبعة الحجازي، (د.ت).
27. ـــــــــــــ، **الدر المنثور فى تفسير المأثور**، (د.ط)، قم: كتابخانه آية الله مرعشى نجفى، (1404ق).
28. شهاب الدّين أبي الثناء، **حسن التّوسّل**، (د.ط)، مصر، مطبعة أمين أفندي، (1315ه).
29. شيخ بهايى، محمد بن حسين، **مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات**، ط1، بيروت: نشر دار الأضواء، (1405ق).
30. صافي، محمود بن عبد الرحيم، **الجدول فى اعراب القرآن**، ط4، دمشق بيروت: دار الرشيد مؤسسة الإيمان، (1418ق).
31. الصعيدي، عبد المتعال، **بغيه الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، ط غير متوافر، (د.م): مكتبه الآداب، (1999م).
32. صيادانى، على؛ محمدى، نادر، **بينامتى قرآن ونهج البلاغه با لاميه ابن الوردى**، فصلنامه ادبيات دينى، شماره هفتم: ص111-130.
33. ضيف، شوقي، **البلاغة تطوّر وتاريخ**، ط9، القاهرة: دار المعارف، (1119م).
34. طالقاني، سيد محمود، **پرتوى از قرآن**، ط4، تهران: شركت سهامى انتشار، (1362ش).
35. الطباطبائي، سيد محمد حسين، **الميزان فى تفسير القرآن**، ط5، قم: دفتر انتشارات اسلامى جامعه‌ى مدرسين حوزه، (1417ق).
36. الطبرسي، فضل بن حسن، **مجمع البيان فى تفسير القرآن**، ط3، تحقيق: محمد جواد بلاغي، تهران: انتشارات ناصر خسرو، (1372ش).
37. الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير، **تفسير الطبري**، ط1، تحقيق: عبد الله عبد المحسن تركي والآخرون، القاهرة: هجر، (2001م).
38. طيب، سيد عبد الحسين، **اطيب البيان في تفسير القرآن**، ط3، تهران: انتشارات اسلام، (1378ش).
39. عبده، الشيخ محمد، **تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار**، ط3، مصر: دار المنار، (1367ه).
40. العسكري، أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، **الصّناعتين الكتابة والشعر**، ط1، تحقيق: علي محمد السجادي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (1952م).
41. عكّاوي، إنعام فوّال، **المعجم المفصّل في علوم البلاغة**، ط2، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، (1996م).
42. العلوي، يحيى بن حمزة، **الطراز**، (د.ط)، مصر: دار الكتب الخديوية، (1332ه).
43. الغزالي، الإمام أبي حامد، **جواهر القرآن**، ط3، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، بيروت –لبنان: دار إحياء العلوم، (1990م).
44. الفخر الرّازي، **التفسير الكبير**، ط1، تحقيق: عبد الرحمن محمد، (د.م): الهيئة المصرية، (1938م).
45. الفرّاء، أبي زكريا يحيي بن زياد، **معاني القرآن**، ط3، بيروت: عالم الكتب، (1983م).
46. فضل الله، سيد محمد حسين، **تفسير من وحى القرآن**، ط2، بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر، (1419 ق).

47. القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، ط1، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي ومحمد رضوان عرفسوني، بيروت–لبنان:مؤسسة الرّسالة، (2006م).
48. القزويني الخطيب، جلال الدّين محمد بن عبد الرحمن، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط1، تحقيق: ابراهيم شمس الدّين، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، (2003م).
49. قمي، شيخ عباس، **كليات مفاتيح الجنان**، ط6، قم: انتشارات بضعة الرّسول، (1385ش).
50. قمي، مشهدى، محمد بن محمدرضا، **تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب**، ط1، تحقيق: حسين درگاهى، تهران: سازمان چاپ وانتشارات وزارت ارشاد اسلامى، (1368ش).
51. كفعمي، ابراهيم بن على عاملى، **البلد الأمين والدرع الحصين**، ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (1418ق).
52. گنابادي، سلطان محمد، **تفسير بيان السعادة فى مقامات العبادة**، ط2، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (1408 ق).
53. گنابادي، سلطان محمد، **بيان السعادة فى مقامات العبادة**، ترجمه خاني رضا وحشمت الله رياضى، ط1، تهران: مركز چاپ وانتشارات دانشگاه پيامنور، (1372ش).
54. مصطفوي، حسن، **تفسير روشن**، ط1، تهران: مركز نشر كتاب، (1380 ش).
55. مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها**، ط1، بيروت: الدّار العربية للموسوعات، (2006م).
56. مكارم شيرازي، ناصر، **الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل**، ط1، قم: مدرسه امام على بن ابى طالب، (1421 ق).
57. ملاحويش آل غازى، عبدالقادر، **بيان المعانى**، ط1، دمشق: مطبعة الترقي، (1382 ق).
58. ميبدى، احمد بن ابى سعد، **كشف الأسرار وعدة الأبرار**، ط5، تهران: انتشارات امير كبير، (1371ش).
59. الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة**، ط2، طهران: مؤسسة الصادق، (1384ش).
60. يوسف، ألفه، **تعدّد المعنى في القرآن**، ط2، كلّيّة الآداب منوبة: دار السّحر للنّشر، (2002م).

ب. الرّسائل العلميّة

1. عبد الغفّار، هدى عطية، **السجع القرآني دراسة اسلوبية**، عاطف جودة النّصر ومحمد عبد المطّلب، جامعة عين الشمس، (2001م).
2. محمد نصر، وداد طاهر، **دعاء الأنبياء في القرآن الكريم**، خضر سوندوك، نابلس–فلسطين، (2010م).

ج. المواقع الإلكترونيّة

ابن منقذ، **البديع في نقد الشّعر**، (د.ت): موقع كتاب بديا: http: //www.ketabpedia.com/6422/